رأي القدس

لقاء عباس اولمرت المرتقب

■ التقى توني بلير رئيس وزراء بريطانيا كلا من السيد محمود عباس رئيس السلطة الفلسطينية وايهود اولمرت رئيس الوزراء الاسرائيلي في اطار الجهود التي يقوم بها حالياً تحت عنوان احياء عملية السلام.

بلير الذي يواجه غضباً شعبياً في بريطانيا، وضغوطا مكثفة من نواب حزبه للانسحاب من منصبه في اسرع وقت ممكن، يحاول تحقيق بعض النجاحات في الملف الفلسطيني، تخفف عنه هذه الضغوط، وتعيده الى الاضواء مجدداً كصانع سلام.

السياسة الخارجية لحكومة بلير التي قادته الى حروب فاشلة ودموية في كل من العراق وافغانستان اودت بحياة المئات من القوات البريطانية، هي السبب الرئيسي والمباشر لافول حظوظ بلير السياسية، ولهذا يحاول انقاذ نفسه من الخروج من السلطة بطريقة مهينة من خلال العودة الى ملف الصراع العربي الاسرائيلي مجدداً، وهو الذي ظل يكرر دائماً بانه ايد الحروب الامريكية في افغانستان والعراق من اجل التأثير على الادارة الامريكية، لايجاد حل يقود الى قيام دولة فلسطينية قابلة للحياة.

لقاءات بلير هذه نجحت فيما يبدو في اقناع ايهود اولمرت بلقاء الرئيس عباس، والتخلي عن شروطه السابقة في ضرورة اطلاق سراح الجندي الاسرائيلي الاسير جلعاد شاليط ونزع سلاح «حماس» وفصائل المقاومة الاخرى قبل اتمام مثل هذا اللقاء. فقد صرح اولمرت بانه «ينوي الاقدام على هذه الخطوة واقامة علاقات وطيدة مع عباس».

بلير يريد قيام تحالف جديد من «المعتدلين العرب» يواجه «قوس التطرف» الذي تحدث عنه في خطابه الشهير قبل شهر في كاليفورنيا، ويريد ان يستند هذا التحالف على احياء «خريطة الطريق»، وبما يسهل ضم اسرائيل اليه، وتحقيق سابقة كبرى في هذا الخصوص.

من الواضح ان الاسرائيليين، واولمرت على وجه الخصوص، ادركوا ان المعادلات الاستراتيجية تغيرت بشكل كبير في المنطقة بعد الهزيمة الاسرائيلية المخجلة في لبنان، ولهذا بدأوا يبحثون عن وسائل جديدة لاصلاح الخلل، واعادة الامور الى صورتها السابقة، اي تفوق عسكري اسرائيلي، بدعم عربي، وعزلة لحركات المقاومة الاسلامية.

بضاعة بلير هذه سيكون من الصعب ان لم يكن من المستحيل تسويقها عربياً، وفلسطينياً، لانه رجل فاقد المصداقية في الوطن العربي بسبب اكاذيبه التي دخل على اساسها الحرب في العراق، مثل اسلحة الدمار الشامل، ورفضه ادانة العدوان الاسرائيلي على لبنان، والمطالبة بوقف فوري لاطلاق النار.

بلير ارتكب خطأ آخر ربما يؤدي الى نسف مساعيه الحالية وهي في بدايتها، وهو عدم لقائه رئيس الوزراء الفلسطيني اسماعيل هنية، وحصر لقاءاته برئيس السلطة فقط، فكيف يمكن ان يكون وسيطا نزيها، وهو يرفض التعامل مع حكومة فلسطينية منتخبة، مثلما يرفض اعتقال ثلث البرلمان الفلسطيني وعشرة وزراء، وهو الذي يرفع دائما راية الديمقراطية والحريات ونشرهما في المنطقة.

مشروع بلير ربما يكون مقدمة لفتنة فلسطينية فلسطينية، وليس وصفة سلام تؤدي الى تسوية الصراع بطريقة عادلة ومقبولة.

ما بعد عصر الأمركة المتوحشة!

مطاع صفدي *

■ بعد انقضاء السنوات الخمس على تفجيرات نيويورك وواشنطن يصح إلقاء السؤال الساذج المسكوت عنه وهو: هل كان للعالم أن يشهد اندلاع الحرب العالمية الثالثة المستمرة تحت علم الإرهاب والإرهاب المضاد، لو لم يقع ذلك الحدثان الأكبر. ولا شك يحيل هذا السؤال إلى بعض المسلمات الأولية في فلسفة التاريخ. منها مثلاً أن الحروب الكبرى لا تقع صدفة، ولا تندلع نتيجة حادث عابر، وإن بدا بعضها على هذه الحال. فالحرب العالمية الأولى في بداية القرن العشرين لم تنفجر نتيجة اغتيال أمير من الأسرة الحاكمة للإمبراطورية النمسوية آنذاك، كما اعتادت مختصرات التاريخ المبسطة أن تذكره. فقد تعتبر تلك الواقعة من صنف الأسباب المباشرة، لكنها غير كافية للفهم وللتعليل دون الكشف عن صنف الأسباب غير المباشرة الكامنة وراء الأولى، والحائرة وحدها على مخزون العلل العميقة المتراكمة لدى الأطراف الذين سينخرطون في حمأة الصراع. وهكذا فإن حروب القرن الماضي الرئيسية والفرعية، العالمية والإقليمية إنما تؤلف شبكية مترابطة من ظروف الأسباب والنتائج المتداخلة والمتراكبة فيما بينها، بحيث لم يعد يسع المعرفة العلمية أن تقدم مشهداً محدوداً عنها، دون إعادة إنتاجه من خلال هذه الشبكية الأشمل، المقودة هي عينها من قبل منطق العصر، وممارساته الجيوسياسية المتوزعة أنحاء المعمورة.

وعلى هذا لن تأتي الحرب العالمية الجديدة والراهنة تحت تسمية الإرهاب مجرد رد فعل ثأري وانتقامي من ذلك العدو المجهول، الذي أوقع في ساعات ضربة صاعقة في الصميم من ترميزي الجبروت الأمريكي العسكري والاقتصادي. بل هنالك مشروع متكامل لحرب عالمية موصوفة بالثالثة، لأنها امتداد تكويني وتاريخي لذات شبكية الحربين العالميتين في القرن الماضي. فلقد عاش عالم النصف الثاني من ذلك القرن تحت رحمة حرب ثالثة منذ عشية سابقتها. لكنها كانت حرباً مقررة مع وقف التنفيذ، فدُعيت بالباردة، إذ كانت متوفرة على كل شروط الصراع الناجمة عن انقسام المعمورة الى معسكري الرأسمالية والشيوعية. ولكن مع الامتناع عن الصدام المباشر بسبب مما دُعي آنذاك بتوازن الرعب النووي بين القطبين الأكبرين. بمعنى أن القتال المادي المباشر هذه المرة لن يشبه أية مساحة صراع دموي سابق. إذ لن يخرج منه كالعادة طرف منهزم وآخر منتصر، بل سيذهب الجميع إلى جحيم النهاية الشاملة المحتومة. فلم يكن ثمة حل لهذا المأزق ما فوق الطبيعي، إلا في اختفاء أحد قطبي الثنائية سلماً وبطريقة إعجازية عجائبية ما. ومن أغرب مفاجآت التاريخ أن المعجزة قد حدثت. فقد استقالت روسيا فجأة من إمبراطوريتها السوفيتية. انهارت معادلة توازن الرعب ثنائي القطبية. بطُلّت استراتيجية الحرب الباردة وتساقطت معها كل رهاناتها الكارثية أو الطوباوية. فاعتقدت البشرية أن موسوعة الحروب قد أغلقت إلى غير رجعة، وأن عصر (السلام المستدام) قد فتحت كل أبوابه أمام حضارات العالم أجمع لكي تتلاقى أخيراً وتتعلم من جديد، من بعضها ألف باء المدنية الحقيقية، والحياة المشتركة المتكاملة ما بين نماذجها.

لكن لم يستغرق الفكر العالمي طويلاً في محاورة ذلك الحلم الذهبي، الواعد بذلك المستقبل الآخر المختلف حقاً عما عهدته الإنسانية المعذبة طيلة سيرتها الدموية منذ عصرها الحجري. منذ أن صنع محاربوها الأوائل أولى أسلحتهم من الحجر؛ نحتوها، قدّوها من الصخر كيما يطعنوا بها صدور بعضهم.

لم تؤرخ استقالة إمبراطورية الشيوعية من ذاتها وكيانها، تكريساً حاسماً لانتهاء عهد الإيديولوجيات الشمولية. سرعان ما فسر العقل الاستراتيجي الأمريكي هذه الاستقالة كهزيمة ساحقة لعدوه التاريخي، تفترض انتصاراً مطلقاً للقطب الآخر، وإن لم يكن من صنع يديه، ولا متحققاً نتيجة حرب فعلية على الأرض. إنما يكفيه أن عدوه مضى وانقضى، بينما هو لا يزال قائماً متمتعاً بكامل جهوزيته العسكرية. وتماسك كيانه السياسي والوجودي بكل أسباب قوته وتفوقه. لقد أمسى إذن هو قطب الاقتدار الأوحد الذي يرشحه لامتلاك العالم بدون أية مقاومة أو اعتراض من قبل أية جماعة أو مجموعة إنسانية أخرى. لم تكن حضارة العنف التي اعتادت أمريكا أن تكون لها النموذج الأعلى والقائد الأوحد، مستعدة لتفهم الحالة الجديدة لعالم ما بعد الحرب الباردة، إلا من خلال صورة البلاد المفتوحة للغازي المنتصر؛ فكل ما فيها هو بمثابة غنائم حرب مستباحة له. والغنيمة الكبرى ولا شك هي الطاقة. ومن يكتسبها ويحتكرها لصناعته ومستقبلها، سوف يتمكن من التحكم بصناعات الآخرين، والأهم منها تحديداً: أي التكنولوجيا. هذه القوة الإنتاجية العظمى التي توّجت أخيراً مسيرة التقدم الإنساني، سوف تجعل كل القوى الأخرى، من مادية وبشرية، مجرد أدوات ملحقة بها. فكان اختراع (العولمة) التي عليها أن تشرعن وضع العالم الجديد كساحات غاصة بغنائم حرب، كانت مفترضة عسكرية «لكنها أصبحت اقتصادية خالصة. كل ما هو داخل مباح للخارج. لا خطوط دفاعية للأمم أو الحضارات بعد اليوم. كل ما فيها معروض للبيع والشراء. ولا شك فإن التاجر الأكبر سوف يلتهم التجار الصغار. لكنه لن يتخلى عن سلاحه في الوقت عينه. إذ إن قانون السيادة المطلقة لا يؤمن أصلاً بتنافس الإمكانيات. إنه يستخدم صلافة الحسم القطعي حيثما يمكن لحربات الآخرين أن تطلق البدائل المغايرة. فالعولمة الاقتصادوية تستدعي، بل تستنجد بالقوة العسكرية، بالبطش المتخلي عن كل قناع إنساني. لذلك لا تستخدم أمريكا وشريكتها إسرائيل إلا آخر أسلحة التدمير الشامل كيما تدمر بيوت الآمنين.

العولمة الاقتصادوية إذن لن تترك لقوانينها الخاصة، لن تفوز بالسيطرة الكاملة إلا عندما تظهر من بواطنها توأمها: البطش النهائي. غير أن حضارة العنف تمتعت دائماً بنوع من (الذكاء) الاستثنائي الذي في الوقت الذي تجهز على الضحية في واقع الأمر فإنها تخلق أمراً آخر ما فوق الواقع، تنسبه إلى مشروعات غيبية أو أسطرية أو ما يشبهها. هنالك حاجة إلى تظهير مفردات الحضارة معلقة دائماً في فراغ ما فوق حدثيات الواقع. إنها لا تستخدمها كمبررات أو تسويغات للعمل القذر فحسب، لكنها تشركها عملياً في تحمل مسؤوليته. وبالتالي يُخرج الفاعل الأصلي نفسه من بين طرفي هذه العلاقة، ويدعها تعوم في التباسات المعنى بالمبنى. كما هو الأمر في قضايا المجازر الكبرى، حيثما تذهب أسرارها مع ضحاياها.

ومنذ خمس سنوات راحت تسيطر على حاضر العرب والعالم كله آخر هذه المجازر العظمى، وربما الأخطر في سلالتها، لأنها تفيض على حادثتها، تتناسل من ذاتها مجازر أخرى لا تتناهى. إنها أعلى إنتاجات العولمة الاقتصادوية، التي فرّخت العولمة الأمنية، ثم حطّ رحالها على الاسم البديل عن أقنوم البطش ولكنه الأقرب إليه، وهو الإرهاب. إنه الاسم أو اللقب المنوطُ به تعميمُ الرعب الذي يعتاش منه البطش عادة. تعميم الرعب يسبق كل مجزرة ويبقى بعدها مضاعفاً من هوله وسعة انتشاره. وهذه مهمة الإرهاب والعاملة على استمراريته بفعل الادعاء بمحاربته.

الإرهابان ينسجان معاً شبكية الحروب الواقعة أو المتوقعة. فالإرهاب والحرب عليه لفظان متضايفان، لا يكون أحدهما بدون الآخر. بمعنى أن الحرب على الإرهاب لا تقل إنتاجاً للمجازر عن الإرهاب نفسه إن لم تتفوق عليه باستمرار، بالكم والنوع معاً. وإذ اختار العقل الاستراتيجي الأمريكي أن تلعب بلاده دور المحارب الأول، أي بالأحرى الإرهابي الأقوى، فقد فرض على بقية العالم الانخراط في عسكرة علاقاته الدولية بين شتى حضاراته وقومياته. انتهى الأمر إذن بالعولمة الى اعادة إنتاج خارطة الأرض كمساحة تغطيها قلاع مغلقة ضد بعضها.

ربما لم يعش التاريخ حقبة سابقة مشابهة للكارثية المعممة الراهنة، حيثما تتعادى فيها الشعوب، وتتبادل انعدام الثقة ببعضها، كما هي في ظل الأمركة المتوحشة، الناشرة بكل عزم وتصميم، لعدوى التوحش والبهيمية الى كل خلية متماسكة في المعمورة. انها المخططة لذلك الفكر المتوحش نفسه، والباعثة لكل ما يضاد انفتاح العالم على بعضه. لقد جعلت أمركة الإرهاب/ إرهاب الأمركة، من نفسها أشرس عائق في وجه الديمقراطية العالمية. فلسفت من جديد قاموس القوة العمياء. خاطبت الإنسانية جمعاء بعبارة واحدة: لا مناص من قانون الذئب والحمل، فلا بد من الاصطفاف مع هذا أو ذاك. وبالتالي ليس من «نهاية للتاريخ» إلا في إعادة إنتاج بربريته الأولى؛ لكنها المسلحة هذه المرة بأخطر أسلحة الدمار الشامل في أيدي جلاديها، والمواجهة مع ذلك، وبالرغم من كل شيء بأرقى وأقوى ما اكتسبته حقوق الإنسان من ثقافة الحرية والمانعة. ولعلها هي السلاح الأخير والأعظم الذي سيشق الطريق نحو عصر ما بعد الأمركة وكوابيسها الشيطانية.

* مفكر عربي مقيم في باريس

تقسيم العراق: هل سينقذ مشروع الاحتلال من السقوط؟

عوني القلمجي *

■ بالامس القريب اعتقد بوش بان حكومة نوري المالكي، ستنقذ العملية السياسية من السقوط، كونها جاءت عقب انتخابات شاركت فيها قوى من خارج العملية السياسية. ومهما قيل بشأن حكومة المالكي حول قدرتها على تحقيق الامن والاستقرار، وتحسين الحالة المادية والمعيشية وكسب ثقة العراقيين بها وتشجيعهم على التوجه صوب العملية السياسية بدل التوجه صوب المقاومة، فان ما حدث لم يكن كذلك تماما. فبدل القتل والذبح العشوائي صار القتل منظما وعلى الهوية، وانتشرت فرق الموت في كل مكان، وارتفع عدد القتلى من العشرات يوميا ليصل الى المئات، واستشرى الفساد والنهب من قبل الوزراء والمسؤولين اكثر من اي وقت مضى. اما العراقيون فبدل ان يمنحوا الحكومة الثقة، اعتبروها نسخة مشوهة عن الحكومات السابقة، وجراء ذلك اختفت العملية السياسية والحكومة معا. وهذا ليس غريبا، لان كلا الحكومة والبرلمان قامت ايضا على اساس المحاصصة الطائفية والعرقية. حيث أصبح «الكردي» جلال الطالباني رئيسا للعراق و«الشيعي» جواد المالكي رئيسا للوزراء و«السني» محمود المشهداني رئيسا لمجلس النواب، الامر الذي دعا بعض مؤيدي العملية السياسية الى الاحتجاج لعدم شمولهم ببركات الحكومة. امثال عدنان الباجه جي واياد علاوي وصالح المطلك وحميد مجيد موسى وغيرهم. واليوم يجرب بوش ورقة تقسيم العراق عساها ان تنقذ مشروع الاحتلال من السقوط. ترى هل سينجح بوش هذه المرة في هذه المحاولة ام انه سيضيف فشلا اخر الى مسلسل محاولاته البائسة؟

لو كان بوش على دراية ومعرفة بطبيعة الشعب العراقي، كونه شعبا يكره المحتلين والغزاة، وله خبرة واسعة في اكتشاف نوايا العدو مهما حاول تغليفها بالوعود والاماني البراقة، وان له تاريخا عريقا في دحر الغزاة والمحتلين، وتمسكه الشديد بحب العراق واستعداده للموت في سبيله وسبيل الحفاظ على وحدته وعروبته، لما تورط واعتبر هذه المحاولة البائسة بمثابة المصباح السحري لانقاذ مشروع الاحتلال من السقوط. بل لما تورط اصلا باحتلال العراق. والانكى من ذلك فهو قد نسي لشدة غبائه، ان حاكمه السابق في العراق بول بريمر، قد انجز هذه المهمة قبل اكثر من عامين دون ان يجني له اي فائدة تستحق الذكر، فقانون ادارة الدولة الذي سنه قسم العراق، ليس الى ثلاثة اقاليم او اربعة او خمسة، وانما اعطى الحق لكل محافظة بالاستقلال تحت يافطة الفدرالية او الحكم اللامركزي. بمعنى اوضح ان ما حققه بريمر وفق قانون ادارة الدولة هو اكبر مما يسعى اليه بوش الان، وهو تفتيت العراق وتمزيقه الى اشلاء متناثرة. وعلى كل حال فاذا حدث ووافق ما يسمى بالبرلمان العراقي على تقسيم العراق الى فدراليات، فان بوش لم يأت بجديد كي يستفيد منه، فالعراق يعيش اصلا حالة التقسيم بفعل الاحتلال من جهة، وجراء تغيب الدولة المركزية التي حلها بريمر من جهة اخرى. فشمال العراق اصبح خارج اطار السلطة المركزية منذ عام 1991، بفعل المنطقة الامنة التي فرضتها الولايات المتحدة بالقوة، وبموجبها اصبح لهذا الجزء من الوطن، مؤسسات وهيئات ادارية وتشريعية وميزانية خاصة، شبيهة الى حد ما بمؤسسات دولة مستقلة. وبعد الاحتلال تكرس هذا الوضع ليصل حد الاستقلال التام عن السلطة التي عينها الاحتلال، بل واصبح السلطة الاقوى في كل البلاد. واصبح مسعود البارزاني اقوى شخصية في تشكيلة الاحتلال.

اما في جنوب العراق فقد استباح الايرانيون المنطقة تحت سمع وبصر قوات الاحتلال، مكافأة لدور ايران المتميز في مساعدة امريكا على احتلال افغانستان والعراق، واصبحت المليشيات التابعة للاحزاب الموالية لايران، تتحكم بشؤون الجنوب بالقوة، على الرغم من ان عموم سكانه رفضوا بشكل قاطع النفوذ الايراني والاحزاب الموالية لها. وقد تعزز هذا النفوذ بعد التحاق التيار الصدري بقائمة الحكيم، ليصبح هذا التيار مواليا لايران بالتبعية». ومع ذلك فان هذا الوضع سواء كان في الشمال او الجنوب، لم يمنع او حتى يعرقل مسيرة الشعب العراقي ومقاومته الباسلة باتجاه تحرير العراق. بل ان عمليات المقاومة في الجنوب تصاعدت في الاونة الاخيرة وحققت انتصارات مذهلة ضد القوات البريطانية، كان اخرها اجبار بعض قواعدها العسكرية على الانسحاب خارج المدن وخاصة قاعدتها في العمارة، التي اطلق عليها ابناء الجنوب اسم قاعدة ابو ناجي. ناهيك عن قيام التظاهرات الشعبية الواسعة، بين فترة واخرى في العديد من محافظات الجنوب ضد التواجد الايراني، كان ابرزها تلك التظاهرة الكبيرة التي اقتحمت القنصلية الايرانية في مدينة البصرة، ورفعت العلم العراقي عليها. وفي كل الاحوال فان العراقيين لم يكترثوا بما حدث سواء في الشمال او الجنوب، ايمانا منهم بان هذه الاوضاع الشاذة ستزول بزوال الاحتلال.

واضح ان بوش قد اوقع نفسه في مأزق حين دفع البارزاني والحكيم، الى المطالبة بتقسيم العراق، حيث انقلب السحر على الساحر. فقد جوبه هذا المطلب برفض عموم العراقيين له، لا لشيء سوى كون الاقرار به واضفاء صفة «الشرعية» عليه، يمس بأهم مقدساتهم وهو وحدة العراق ارضا وشعبا. وهذا ليس جديدا على الشعب العراقي، فلقد رفض هذا الشعب العظيم منذ اول تأسيس الدولة العراقية قبل اكثر من ثمانين عاما، جميع محاولات تجزئة العراق، لادراكه بان الهدف الاساسي من هذه المحاولات، هو تهديد وحدة العراق التي لابد وان ينتج عنها هيمنة القوى الاستعمارية على شؤون العراق، بحيث اصبح شعار وحدة العراق من ابرز سمات الحركة الوطنية المعاصرة، الامر الذي سيؤدي حتما الى تصاعد حجم التأييد للمقاومة العراقية والالتحاق في صفوفها لاحباط هذا المخطط الغادر، اي على عكس ما كان يتمناه بوش من ان اعلان تقسيم العراق سيعزل المقاومة في منطقة محدودة هي «المثلث السني».

ولكن ليس هذا كل شيء فلقد رفض هذا المشروع او اعترض عليه او حاول عرقلته، حلفاؤه الجدد في العملية السياسية من الكتل النيابية التي تدعي تمثيل السنة، لا بسبب نزعة وطنية فيهم، وانما بسبب حسابات الربح والخسارة. حيث ستخرج هذه الكتل من هذا المولد من دون حمص كما يقولون. لخلو منطقة الوسط من الثروة النفطية، واذا استمر هؤلاء على موقفهم بصرف النظر عن الاسباب، او نفذ البعض منهم تهديده بالانسحاب من المجلس النيابي والحكومة، فان ذلك سيضيف عقبة جديدة امام تحقيق مشروع المصالحة الوطنية، وليس خافيا على احد اهمية نجاح هذا المشروع بالنسبة لبوش، فهو يعتبره فانوسه السحري للخروج من محنته في العراق. ومما يدل على تلك الاهمية تكليفه وزير الخارجية الامريكية الاسبق جيمس بيكر قبل اسبوعين، بالذهاب الى العراق لدعم هذا مشروع وانجاحه. الى جانب ذلك فان بوش باصراره على تقسيم العراق، سيفقده ما تبقى لديه من المخدوعين بالعراق الجديد الذي سيضاهي، كما كان يردد دائما، جنة عدن، ويكون نموذج لمجتمع متسامح متعدد ديمقراطي.

بالمقابل وعلى الجهة الاخرى، فان بوش سيخلق لنفسه مشاكل مع حلفائه من دول المنطقة. فتركيا هددت بالدخول او احتلال اجزاء من شمال العراق اذا جرى تقسيمه، او اذا اعلن الاكراد الانفصال عن العراق. اما اتباعه من الحكام العرب، فانه سيضعهم في موقف حرج امام شعوبهم ان هم التزموا الصمت، في وقت اعلنت فيه المفوضية الاوروبية، على سبيل المثال، وعلى لسان ناطقتها الرسمية «ايما ايدوين» قبل ايام عن تمسكها بوحدة الاراضي العراقية ورفضها للتجزئة، ردا على قرار مسعود البارزاني بانزال العلم العراقي في شمال العراق.

دعونا نفترض بان بوش وبسبب غطرسته وعنجهيته، سيعتبر كل هذه الحقائق لا تمس شعرة من رأسه وانها لن تحول دون تنفيذ قراره، وفي هذه الحالة سنقول له حسنا «سيادة» الرئيس فلقد نسيت المقاومة العراقية، وما اعدته ليس لاحباط مشروع التقسيم ودحره الى الابد، وانما لدحر مشروع الاحتلال برمته. فهذه المقاومة الباسلة استطاعت ليس المساس بشعرة واحدة في رأسك، وانما مست هيبة امريكا وسمعتها امام العالم، بحيث لم تعد هذه الدولة العظمى والوحيدة في العالم، قادرة على خوض حربين في آن معا. ولكرهي الشديد لبوش ولكي اقض مضاجعه، اذكره بان المقاومة العراقية لن تقف متفرجة على ذلك المشروع، وتترك انجاز مهمة دحره ودحر الاحتلال لغيرها، او تتركها للظروف او لعوامل اخرى. فالمقاومة اعتبرت ان مهمة تحرير العراق وتصفية جميع آثاره العدوانية ومنها نظام الفدراليات، هي مهمتها بالدرجة الاولى. وفي هذا الصدد فان المقاومة العراقية كرد على بوش، ستطور، كما عهدناها، عملياتها العسكرية لترتقي بها الى حروب تحرير المدن، كما حدث في الرمادي قبل فترة قصيرة، حين اجبرت القوات الامريكية على الانسحاب من مدينة الرمادي، وهي تتوسل المقاومة عبر مكبرات الصوت بان لا تستهدفها اثناء انسحابها من المدينة. لان المقاومة تدرك تماما بان دحر مشاريع الاحتلال يتطلب دحر الاحتلال نفسه. اذ لا حياة لمثل هذه المشاريع من دون حماية المحتل.

وفي كل الاحوال هناك حقيقة قاطعة تفيد : بانه ما من شعب قرر تحرير بلده ولديه الارادة والتصميم والاستعداد لتقديم كل التضحيات المطلوبة الا ونال النصر. والمقاومة العراقية التي تميزت بقوتها وفعاليتها، وتغلبها على الظروف الصعبة التي تحيط بها، وعدم خشيتها من قوة امريكا وعظمتها، ستتمكن بكل تأكيد، من الحاق الهزيمة بالمحتل واعوانه. واذا كنا نؤمن بقوة المقاومة وقدرتها على تحقيق الانتصار النهائي، فهذا لا يبرر على الاطلاق وقوفنا متفرجين وان ندع المقاومة تقاتل نيابة عنا. خاصة بالنسبة للقوى التي تدعي مناهضة الاحتلال والقادرة على حمل السلاح وحشد طاقات الشعب وزجها في معركة التحرير. لقد آن الاوان لان تلتحق هذه القوى بمعسكر المقاومة، وان تقلع عن المراهنات السياسية لتحرير العراق، او الدخول في مصالحات «وطنية» او عبر عقد صفقات مع الاحتلال، على «امل» انسحاب قواته طواعية او وفق جداول زمنية. فالمحتل كشف عن انيابه، واحزاب الاحتلال باتت على قناعة بانها لن تستطيع الصمود من دون حماية الاحتلال. وهذا يتطلب منها الخضوع الى مطالبه وتحقيق اهدافه. بمعنى اخر فان لا خيار من الان فصاعدا امام اي جهة تدعي مقاومة الاحتلال، سوى خيار الالتحاق اما بمعسكر المقاومة او بمعسكر الاحتلال. وهنا اوجه الدعوة كعراقي مخلص لبلده واهله، الى قيادة هيئة علماء المسلمين والتيار الخالصي والتيار القومي، ان يعلنوا الطلاق مع المحتل ومع احزابه، ويعلنوا على الملأ بان لا طريق لتحرير العراق سوى طريق المقاومة. فان فعلتم ذلك فانكم ستساهمون في انجاز مهمة التحرير باسرع وقت وتقللون من حجم التضحيات.

واخيرا وليس اخرا وكما قلنا في السابق، فاننا مطالبون كاشخاص او تجمعات، حرمها القدر من شرف حمل السلاح ضد المحتل، ان نحمي اهلنا بالكلمة، ونعمل على دعم المقاومة بكل ما نملك من غالي ونفيس، وان نصون ونحترم دماء المقاومين، الاحياء منهم او الذين استشهدوا، فهذه المقاومة هي عنوان شرف العراق والامة العربية، والتي ستعيد للعراق استقلاله وسيادته ووحدة اراضيه، ليتمكن من اداء دوره الواعد في مجاله الاقليمي والدولي وخاصة دوره في معركة تحرير فلسطين وجميع الاراضي العربية المغتصبة.

* كاتب من العراق

الحرب قريبة وليست وشيكة

د. عبدالستار قاسم

■ ليس من الفطنة الظن بأن أمريكا وإسرائيل ستتجاوزان نتائج الحرب الأخيرة ضد حزب الله، وأنهما ستبلعان الاندحار وكأن شيئا لم يكن. ستنجلي الأيام والأشهر القادمة عن تداعيات هامة وكبيرة لهذه الحرب أهمها انحسار الهيمنة العسكرية الإسرائيلية–الأمريكية على المنطقة لصالح توازن قوى جديد تفرضه إيران وسورية وحزب الله. هناك شرق أوسط جديد سيظهر، لكنه ليس وفق رغبات كوندوليزا رايس أو الولايات المتحدة، وإنما وفق توازن القوى الجديد. ستنكفئ محاولات أمريكا في الإطباق على الوطن العربي، وستصاب سياسة المفاوضات المباشرة مع إسرائيل بانتكاسة خطيرة، وستتباطأ عملية التطبيع العربي معها بشكل كبير. ستكسب الشعوب العربية جرأة أكثر في مواجهة الحكام العرب، وستصبح الأقلام العربية أشد مضاء في التحريض والتعبئة وبث الوعي. كل هذا مرتبط أيضا بسياسة حزب الله المقبلة على المستوى العربي.

التطورات المتوقعة تشكل مفصلا تاريخيا يؤثر بصورة جسيمة على كل المخططات والسياسات الأمريكية ـ الإسرائيلية في المنطقة. تدخل المنطقة في مرحلة تاريخية جديدة تهدد بقاء إسرائيل وقدرة أمريكا على الاستمرار في السيطرة على الثروات العربية. ولهذا لن تقبل الدولتان الأمر بسهولة وستعملان على إعادة عقارب الساعة إلى الوراء. هناك خياران بارزان أمامهما: يتمثل الأول في إلحاق هزيمة دبلوماسية بسورية وحزب الله بالتحديد وتحقيق الأهداف بدون قتال؛ ويتمثل الثاني بشن حرب جديدة سريعة مدمرة ضدهما.

لا أتوقع أن سورية ستستسلم للإغراءات التي ستقدمها إسرائيل وأمريكا لسببين وهما أن إسرائيل لن تسلم الجولان وفق ما كانت عليه الأمور عشية حرب 1967، وأن سورية ستصمد عند موقفها العربي وذلك استنتاجا من صمودها السياسي خلال سني المحادثات التي بدأت في مدريد. أما حزب الله فيخوض معركة عقائدية ولا مجال إطلاقا لتحييده أو إغرائه. أما إيران فتبقى قضيتها أكبر من الجبهة الشمالية المحاذية لإسرائيل، وهي تتسع على مختلف أنحاء الوطن العربي والثروات العربية. المهم في الأمر أنه إذا استطاعت أمريكا وإسرائيل إخراج سورية من معادلة القوى الجديدة فإنهما ستحققان انتصارا محليا على الرغم من بقاء الأنياب الإيرانية.

خيار العودة إلى الحرب هو المرجح، لكنه سينتظر بعض الوقت لغاية حل المشاكل العسكرية التي برزت مؤخرا. على إسرائيل أن تجد حلا لثلاث قضايا رئيسية قبل أن تقرر العودة إلى الحرب وهي: قضية نقص المعلومات حول حزب الله وتحركاته وتسليحه والمفاجآت التي لم يستخدمها بعد؛ وقضية الطيران الذي قصف المدنيين وتم تحييده إلى حد كبير بشأن المواقع العسكرية، أي حل مشكلة الخندقة التي يتسلح بها حزب الله؛ والقضية الثالثة متعلقة بالدبابات التي كانت فرائس سهلة لصواريخ حزب الله. إلى جانب هذه القضايا، لا بد لإسرائيل من تدريب جزء كبير من جيشها على حرب العصابات.

بسبب هذه القضايا، الحرب الجديدة ليست وشيكة، وهي تدار الآن في غرف البحث العلمي وورش التطوير التقني، وعلى نظريات حروب العصابات. التغلب على هذه المشاكل ليس سهلا، ويتطلب الكثير من الوقت والجهد، وهو معرض للإحباط والفشل.

على صعيد الطيران، لا توجد تقنية حتى الآن تكشف الخنادق، والبحث عنها ليس بالأمر السهل؛ وأما الدبابات فتحتاج إلى تصفيح جديد وتحصين مواطن الضعف في أبراجها وجنازيرها.

في المقابل، ليس من المتوقع أن يبقى الطرف الآخر مكبلا، وسيسعى إلى تطوير صواريخ مضادة للدبابات أكثر قوة، وإلى التركيز على الدفاع الجوي الذي أدى غيابه إلى وقوع خسائر جسيمة في المدنيين والبنية التحتية، وإلى تطوير الأساليب القتالية بخاصة في تحريك الصواريخ المضادة للبحرية.

ربما تكون أهم نقطة في هذه الحرب القادمة أنها لن تقتصر على حزب الله وستشمل سورية. إيران مهمة بالنسبة لقوة حزب الله من حيث الأسلحة والتمويل، لكن هذه الأسلحة لا قيمة لها إذا لم يتوفر المعبر باتجاه لبنان. يتطلب التخلص من قوة حزب الله العسكرية التخلص من دعم سورية، ولا أرى أن سورية ستتخلى طوعا عن الحزب. تكتيكيا، ستقوم إسرائيل بضربة جوية وصاروخية ضخمة وفجائية ضد سورية ودون أن تُسبقها بحشد للقوات لما في ذلك من تأثير سلبي على عنصر المفاجأة. ومن ثم ستحرك قواتها البرية ضد حزب الله، والسيطرة بعد ذلك على بعض نقاط الحدود بين سورية ولبنان.

لا أرى أن إسرائيل ستكسب هذه الحرب أيضا، والسبب أن الجيش السوري قد شهد الكثير من التحولات في السنوات الأخيرة بحيث تم اعتماد الدفاع المخندق وتقليص الاعتماد على الأساليب القتالية التقليدية. ستحقق الضربة الإسرائيلية تدميرا في المنشآت المدنية الاستراتيجية، لكنها لن تحول دون ضربة سورية صاروخية مضادة تصيب مواقع إسرائيلية حساسة. وإذا كانت سورية قد جهزت نفسها من ناحية الدفاع الجوي فإن الطيران الإسرائيلي سيجد صعوبة في الحركة فوق لبنان وسورية، الأمر الذي سيخلق صعوبات كبيرة لحركة القوات البرية الإسرائيلية.

كتبت قبل عدة أعوام بأن هزائم العرب قد انتهت عام 2000 عندما استطاع حزب الله دحر الجيش الإسرائيلي خارج الجنوب اللبناني. وما زلت أرى أن التحولات العسكرية في الجيش الإسرائيلي تميل نحو الضعف، بينما تميل التحولات العسكرية لدى سورية وإيران وحزب الله نحو القوة. لم يعد الجيش الإسرائيلي ذلك الذي كان من ناحية الانضباط والعقيدة القتالية، ولم تعد القوات العربية ـ الإسلامية تلك التي تصاب بظهورها.

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 741 ـ 0208 (6 خطوط) ـ
فاكس: 8902 741 ـ 0208 أو 7637 748 ـ 0208
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/ فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(37 212)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.
هاتف/ فاكس: 5066089 (9626)
مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England
Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) **Fax:** 0208-741 8902 / 748 7637
email: ***alquds@alquds.co.uk*** * *Internet:* ***www.alquds.co.uk***
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).
Tel/Fax: (202) 3901523
Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco
Tel/Fax: (212 37) 770594
Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.
Tel/Fax: (9626) 5066089
Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364

Al-Quds Al-Arabi
daily Independent News Paper
**Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al-